مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- المركز الجامعي بغليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 06/ العدد: 04 (2020) - ص 131- 143

ظاهرة النبر في الدّرس اللساني العربي المعاصر

The study of 'phonetic stress' in the contemporary Arabic linguistics

عبد الرحمان حاج علي
abderrahmane.hadjali@univ-mosta.dz
جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم

تاريخ الاستلام: 2019/10/04 تاريخ القبول: 2019/01/23 تاريخ النشر: 2020/12/10

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على ظاهرة النّبر في اللغة العربية، بدءًا بذكر التّعريف اللغوي للنّبر، تليه تحديدات اصطلاحية عند مجموعة من علماء الأصوات والألسنيين العرب المعاصرين، حيث تناولت الدراسة تعريفاتهم للظاهرة وتقسيمهم للنّبر إلى أنواع، وتحديد آلية حدوثه، وتأطير قواعده، ومواضعه ودرجاته وموقعيّته، مع التنويه بأهميّته في توجيه المعنى، وصولاً في الأخير إلى نتائج يمكن أن تفتح المجال لدراسة الظاهرة وفق أُطُر أوسع ومناهج أكثر دقّة وشموليّة.

الكلمات المفتاحية: النبر، الصوت اللغوي، اللسانيات، البنية، الدلالة.

ABSTRACT:

This study aims to shed light on the subject of the *phonetic accent* in the Arabic language, by mentioning its linguistic definitions refering to researches of contemporary linguists. This study focused on the definitions of language stress (accent) and their divisions into different types, determining the mechanism of its occurrence, its rules, positions, degrees and locations, while noting its importance in determining the linguistic connotations. In the conclusion i tried to open the way to study this phonetic and linguistic subject according to other miscellaneous sciences and more precise And comprehensive methods.

Keywords: Phonetic stress; Linguistic sound; Linguistics; Language structure; Meaning.

مقدّمة:

يعتبر النّبر من القضايا اللسانية الصّوتية التي لايزال البحث فيها قائماً، نظراً للتّجدّد الدّائم للإشكالات الّتي تطرح باستمرار حول أهمّيته في اللّغة، وإذا كانت له علاقة بالمعنى، ولكن بالرّغم من ذلك يجد المتطرّق إلى قضيّة النّبر نوعاً من الصعوبة في فهم الكثير من القواعد والمعايير التي يمكن أن تؤسَّس عليها دراساتٌ تطبيقيّة.

كما أنّ الظاهرة لم تتمّ دراستها كظاهرة صوتيّة في اللّغة العربية تحت هذا المسمّى، وهذا ما جعل الخلاف في البداية يحتدم حول حضور النّبر في اللّغة العربية، بين من ينفي وجوده وبين من يدرجه تحت مسمّيات أخرى، وصولاً إلى الدّراسات الحديثة التي لم تسلم من إشكاليات اختلاف الطروحات حول الظاهرة والتي بدت غير قادرة على صياغة قواعد أساسيّة لظاهرة النّبر في اللّغة العربيّة ولم تتّفق على موضعيّته، ولعلّ نقاط الاتّفاق الرئيسية المحدودة تتجلّى في درجات النّبر، بيد أنّها لم تكن كافية للتّمهيد للدّرس التّطبيقي والتّحليل الدّقيق، ما جعل قضيّة النّبر تبقى مفتوحةً للدّراسة، غنيّة بالإشكالات التي هي بحاجة إلى طروحات ونظريّات.

1- منطلقات دراسة النّبر كظاهرة صوتيّة:

تختلف أهمّية النّبر كظاهرة صوتيّة باختلاف اللّغات وطبيعتها، و"اللّغة العربيّة لغةٌ عريقة تتميّز بالثّبات، ولذلك فالنبر فيها لا تظهر له آثار ينتحيها المتكلم من تلقاء نفسه دون أن يعتمد على قواعد النُّطق فيها، وطرائق أدائها الموروثة"، بحيث يكون عفويّاً في الكلام، دون تكلّف من المتكلّم.

نجد بعض اختلاف بين علماء اللّغة والأصواتيّين في تأصيل ظاهرة النّبر في الدّراسات القديمة، ولكن هناك دلائل كثيرة على تدارس النّبر بمسمّيات أخرى، "وقد عرفت العربية النّبر، وعبّرت عنه بمسميات مختلفة: الهَمْز، العُلُوّ، الرَّفْع، مَطْل الحركات، الارتكاز، الاشْبَاع، المدّ، التَّوَتُّر، التَّضْعيف، وكلّها تفضي إلى مستوى دلالي واحد بوظائف متباينة تبعاً للسّياق، وبروز القيم الاستدلالية في النّص اللغوي"[1]، ممّا يدلّ على أنّ المقصود بها النّبر، حتّى ولو لم يُشَر إلى المصطلح بدقّة.

والنّبر ظاهرة صوتيّة تقع في تركيب المفردات والجمل، و"يشمل الأداء النّغمي للكلام العوامل البروسودية في النّبر والإيقاع، وأقلّ وحدة يقع عليها النّبر هي المقطع، واللّغات التي تستغل النبر في تراكيبها تُعرف بلغات النّبر-المقطع Syllable-stress. وهناك أربعة أنواع للنّبر: نبر الكلمة، والنبر الأوّلي، والنّبر الثّانوي، وغياب النّبر"[2]، وهناك تقسيمات أخرى ولكنّها لا تخرج عن جوهر هذا التّقسيم من حيثُ المفاهيم.

2- تعريف النّبر في اللغة العربية:

أ- النّبر لغةً: جاء في لسان العرب لابن منظور –من مادة (ن ب ر)-: النَّبْرُ بالكلام: الهَمْزُ. قال: وكلّ شيءٍ رَفَعَ شَيْئًا، فَقَدْ نَبَرَهُ. والنَّبْرُ: مصدر نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبِرُهُ نَبْرًا هَمَزَهُ. وفي الحديث: قال رَجُلٌ للنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: يا نبئ الله، فقال: لا تَنْبِرْ باسمي، أي لا تَهْمِزْ، وفي رواية: فقال إنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لا نَنْبِرُ. والنَّبْرُ: هَمْزُ الحَرْفِ، ولم تكن قريشٌ تَهْمِزُ في كلامها. والمَنْبُورُ: المَهْمُوزُ. والنَّبْرَةُ: الهَمْزَةُ...

ورَجُلٌ نَبَّارٌ: فَصِيحُ الكَلاَم، ونَبَّارٌ بالكَلاَمِ: فصيحٌ بَلِيغٌ، وقال اللِّحْيَانِيُّ: رَجُلٌ نَبَّارٌ صَيَّاحٌ. ابن الأنباريّ: النَّبْرُ عِنْدَ العَرَبِ ارتفاعُ الصَّوتِ. يُقَالُ: نَبَرَ الرَّجُلُ نَبْرَةً إِذَا تَكَلَّمَ بكَلِمَةٍ فيها عُلُوٌّ. والنَّبْرُ: صَيْحَةُ الفَزَعِ. ونَبْرَةُ المُغَنِّي: رَفْعُ صَوْتِهِ عَنْ خَفْضٍ[3]. وكغيره من المصطلحات في اللغة العربية لا نجد في المعاجم اختلافاً بين المعجميين فكلهم يربطه باللام المنطوق ويعتبره ظاهرة صوتية بامتياز.

ب- النَّبْر اصطلاحاً: (STRESS[EN] - ACCENT[EN/FR]):

النّبر ظاهرة لغويّة صوتيّة، يعرّفه عبد الغفّار حامد هلال بأنّه "الضّغط على مقاطع معيّنة من الكلمة، ليصبح أوضح في النّطق من غيره لدى السَّمع"[4]، ومن هذا التّعريف يتّضح أنّ هذه الظّاهرة تختصّ بالكلام المنطوق. ويعرّفه علي الخولي بأنّه "قوّة التّلفّظ النّسبيّة التي تُعطَى للصّائت في كلّ مقطع من مقاطع الكلمة أو الجملة... النّبر لا يقع على الصّوت الصّامت أبداً، إذ هو مقصور على الصّوت الصّائت"[5]، وهو بذلك يكون في الكلمة المنطوقة المفردة كما يكون كذلك في الجملة.

ويعرّفه عبد القادر عبد الجليل بأنّه "أحد الفونيمات فوق التّركيبيّة (Supra-segmental phonemes) لا يدخل مباشرةً في تركيب البنى اللّغوية، لكنّه يفضي إلى أغراض المتكلّمين النّطقيّة، قوّةً وضعفاً، شدّةً وليونة. ويقتضي طاقةً، وجهداً عضليّاً"[6]، أي أنّ له دوراً في إيضاح المعنى والدّلالة على مقصديّته.

ويعرّفه عصام نور الدّين بأنّه "يعني إعطاء مقطع من بين مقاطع متتابعة مزيداً من الضّغط، أو العلوّ (نبر علوي Stress/ accent)، أو يعطي مزيداً أو نقصاً في نسبة التردد (نبر يقوم على درجة الصوت Pitch/ accent)"[7]، فهو يجعل النّبر بذلك، على درجات، حسب قوة الصّوت.

وعرّفه تمّام حسّان على أنّه: "موقعيّة تشكيليّة ترتبط بالموقع في الكلمة وفي المجموعة الكلاميّة. وحدّه أنّه وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام ويكون نتيجة عاملٍ أو أكثر من عوامل الكمية والضّغط والتّنغيم"[8]، وهنا تظهر العلاقة بينه وبين ظواهر صوتيّة أخرى كالتّنغيم.

ويُعرّف إبراهيم أنيس النّبر على أنّه نشاط في جميع أعضاء النّطق في وقتٍ واحد فتَعظُم لذلك سعة الذبذبات، ويترتب عليه أن يصبح الصوت عالياً واضحاً في السّمع[9]، ويمكن اعتبار هذا التّعريف مفيداً إلى حدّ بعيد في الدّرس التّطبيقي.

وللتّوضيح أكثر يوضّح إبراهيم أنيس أنّ "المرء حين ينطق بلغته، يميل عادةً إلى الضّغط على مقطع خاصّ من كل كلمة، ليجعله بارزاً أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة. وهذا الضّغط هو الذي نسميه بالنّبر"[10]، أمّا عندما يكون الكلام على وتيرة واحدة، أي لا علوّ أو انخفاض في درجة الصّوت، فيسمّى ذلك ضعف النّبر.

وحتّى يتمّ تمييز النّبر وكي تتحقق وظيفته، فإنّ "انتقال النّبر لا يتجاوز مقطعاً واحداً، على أنه في بعض الأحيان قد ينتقل النبر مقطعين، ولا يكاد يُجاوزُ النّبر في تنقله أكثر من مقطعين"[11]، وبهذا يكون المقطع المنبور أكثر بروزاً.

3- أليّة حدوث النّبر:

كون النّبر يرد عفويّاً وبصفة طبيعيّة في الكلام، لا يمنع إدراك آليّته، فـ"النّبر يستلزم جهداً زائداً يُبذل من أعضاء النّطق بأسرها، من الرّئتين والوترين، والحلق واللّسان، والشفتين، فيصحب المقطع المنبور هذا الجهد الزائد فيعطيه قوة في الوضوح والظهور أكثر من المقاطع المجاورة له في الكلمة"[12]، بحيث تكون المقاطع المجاورة له أقلّ قوّة، و"عند نطق المقطع المنبور نلاحظ عدّة أنشطة في الجهاز الصّوتي البشري:

أ- تنشط جميع أعضاء النّطق المشتركة في نطق ذلك المقطع.

ب- تنشط عضلات الرئتين بشكل متميز لدفع الهواء بنشاط أكبر.

ت- تقوى حركات الوترين الصوتيين وتشع الذبذبات ويتقارب الوتران أكثر في حالة الأصوات المجهورة، ويبتعدان أكثر في حالة الأصوات المهموسة.

ث- يزداد نشاط الشفتين إذا اشتركتا في النّطق.

ج- تصبح حركة اللسان دقيقةً مُحكمة حتى يضمن وضوح مخارج الأصوات وعدم التباسها مع غيرها.

ح- يزداد الجهد العضلي لأعضاء الكلام عامة.

أمّا في حالة المقطع غير المنبور، أي ضعف النبر، فيحدث العكس. يفتر نشاط أعضاء النطق وتنقص سعة الذبذبات الصوتية وتتهاون أعضاء النطق في أداء وظيفتها نسبياً ويقل ضغط الهواء الخارج من الرئتين وينخفض علو الأصوات ويقل وضوحُها وبروزها"[13].

كما أنّ "النّبر يترتب على نشاط وطاقة وجهد يبذله المتكلم معتمداً على أعضاء النّطق التي تعمل، وتؤدّي وظيفتها، على حسب قدرة المتكلم، وصحة أعضائه النطقية، وكل متكلم يبذل جهداً

يمكن تحديده بأنه جهد كبير، أو جهد صغير، أو جهد متوسط بين هذا وذاك"[14]. وبملاحظة الجهد المبذول في العبارات يمكن تحديد المقاطع المنبورة من الكلام، مقارنة بمقاطع ضعف النّبر.

وبالنّسبة للجهاز الصّوتي، فإنّ "جميع أعضاء النطق تعمل عملها في سبيل إظهار المقطع الذي وقع عليه النبر، أو الكلمة المنبورة، من الرئتين إلى الشفتين، وبينها الحنجرة، بما فيها من الأوتار الصوتية التي يظهر أثرها، وحركتها مع المقطع المنبور"[15]. ويقلّ عمل هذه الأعضاء بانخفاض درجة النّبر، "فالمقطع أو الجزء غير المنبور تكون معه حركة أعضاء النطق ضعيفة تعمل عملها في تُؤدة، مُحرّكةً هواء الرئتين في اندفاع قليل، والحَنجرة مفتوحة، والأوتار الصوتية متباعدة لا تهتز، فتخرُج أصواتاً مهموسة يكون صداها بعد الخروج من الحنجرة ضعيفاً غير واضح، بالنسبة للمقطع الذي زاد وضوحه ودرجته الصّوتية، وهذا يبين ضعف الجانب الفسيولوجي مع المقاطع التي لا يقع عليها النبر"[16]. وبذلك يمكن ملاحظة المقاطع المنبورة بوضوح.

4- قواعد النّبر:

رغم عدم إرساء قواعد أساسيّة متّفق عليها للنّبر، إلاّ أنّ اللّغويين اتّفقوا على بعض المعايير والقوانين، نورد بعضاً من أهمّها في نقاط أساسيّة:

- يحتل المقطع الثاني النبر الرئيسي، وهو مقطع متوسط القيمة الصوتية، وغالباً ما يتجاوز النّبر المقاطع القصيرة.

- الوحدات اللّغوية التي تتألّف من مقطع واحد، كحروف الجرّ، وأفعال الأمر وغيرها، فإنّ هذا المقطع يحتلّ النّبر الرئيسي.

- هناك ما يسمّى بالنّبر الاشتقاقي، وهذا النّوع ينتقل وفق تلوّنات الصّيغة الاشتقاقية.

وهناك نوع آخر من النّبر سمّي بـ "نبر السّياق (Sentence stress)، وهو ما نعنيه بنبر الجُمل، لأنّ النّبر فيها يشتقّ طريقه عبر السّياق (Context)"[17].

- إذا كانت الكلمة ذات مقطع واحد، تأخذ نواة المقطع نبرة رئيسيّة، مثل: عن، من، لن، في.

- إذا كانت الكلمة ذات مقطعين قصيرين أو ثلاثة مقاطع قصيرة، تكون النّبرة الرئيسية على المقطع الأول، مثل: دَرَسَ، جَلَسَ، ذَهَبَ. وتأخذ المقاطع الأخرى نبرات ضعيفة.

- إذا كانت الكلمة ذات مقطعين طويلين أو ثلاثة مقاطع طويلة، تكون النبرة الرئيسية على المقطع الأخير، وتأخذ بقية المقاطع نبرات ثانوية، مثل: طاووس، ناسون، ناجين...

- إذا كانت الكلمة ذات مقطعين أو ثلاثة متنوعة (أي قصيرة وطويلة)، فآخر مقطع طويل يأخذ النبرة الرئيسية وبقية المقاطع تأخذ نبرة ثانوية إذا كانت طويلة ونبرة ضعيفة إذا كانت قصيرة، مثل: (كاتِب، نائم، صائم).

- إذا كانت الكلمة ذات أربعة مقاطع، فإن المقطع الثاني يأخذ نبرة رئيسية، مثل: مدرسة، طاولة، بناية، ويُستثنى من ذلك أن يكون المقطع الثالث أو الرابع طويلاً، فيأخذ هذا المقطع الطويل النبرة الرئيسية، مثل: بِنَايَات.

- إذا كانت الكلمة ذات خمسة مقاطع، فتقع النبرة الرئيسية على المقطع الثالث، مثل: متقدِّم، متلهِّف، متعلّم. ويُستثنى من ذلك أن يكون المقطع الرابع أو الخامس طويلاً، فيأخذ هو النبرة الرئيسيّة في هذ الحالة، مثل: مدرستنا، كتابتنا، معلّمنا.

- إذا كانت الكلمة ذات ستة مقاطع أو أكثر، فإن آخر مقطع طويل يأخذ النبرة الرئيسية، مثل: استقبالاتهن"[18]، أي أنّ عدد المقاطع في الكلمة المنطوقة هو الّذي يتحدّد من خلاله المقطع الذي من المفروض أن يقع عليه النّبر، ويتمّ التّأكيد على أنّ هذه المعايير مبنيّة على دراسات أغلبها وصفيّة، وليس ملزمة، إذ أنّ تحديد الظاهرة يبقى مبنيّاً على السّماع، ويمكن أن يختلف باختلاف المواقف والأشخاص.

5- أهمّية النّبر ووظيفته:

للنّبر أهمّية في إرساء المعنى المقصود من الكلام، وتحديد الفرق بين أسلوب إنشائي وآخر، و"قد يُريد المتكلم الاهتمام بمقطع معين، أو كلمة معينة، أو عبارة خاصّة، فيُجري فيها النّبر دلالةً على الاهتمام، وقد يُخفي مقاطع أو كلمات معينة لأنه لا يريد أن يثير الاهتمام لدى السّامع بها، وقد يريد المتكلم صنع إيقاعات معينة، أو إثارة بعض أشكال الموسيقى الكلامية عن طريق ألوان النبر لتحقيق مُراده، وإيصاله إلى إدراك السّامع"[19]، وهذا يستلزم معرفة مسبقة من الطّرفين المرسل والمستقبل بطبيعة نبر اللّغة، والقصد من كلّ علوّ أو انخفاض في النّبر.

ولا يقتصر الأمر على الجُمل، إذ نجد أنّ "النّبر في الكلمات ممّا يساعد على وضوح مقاصدها، وفصاحة وقعها لدى السّامع"[20]، وإيصالها إلى ذهنه بنفس المعنى الذي تكون عليه في ذهن المتكلّم.

5- مواضع النّبر في العربيّة:

للنّبر في العربيّة مواضع تكاد تكون ثابتة، وذلك نظراً لوجود قواعد دقيقة للتّراكيب والصّيغ الصّرفيّة، ولكن يختلف الأمر عند تغيير بعض الحروف أو الأساليب الإنشائيّة، إذ "لا تبقى النبرة الرئيسية على المقطع ذاته عند اشتقاق كلمات أخرى من كلمة ما"[21]، من أمثلة ذلك أنّك "تلحظ انتقال النبر حين يسند الفعل إلى الضمائر، أو حين يتصل بالكلمة ضمائر النصب أو الجر، على

شريطة أن يغير كل هذا من نسج الكلمة الأصلية"[22]، وهذا راجع إلى خصائص اللّغة وقواعدها، ويلاحَظ هذا بصفةٍ خاصّة مع أدوات الجزم، فالنّبر في الفعل (يَكْتُبُ) على المقطع (تُ) فإذا جُزم الفعل انتقل النبر إلى المقطع الذي قبله وهو (يَكْ)، كذلك نلحظ انتقال النبر حين يسند الفعل إلى الضمائر، أو حين يتصل بالكلمة ضمائر النصب أو الجر، على شريطة أن يغير كل هذا من نسج الكلمة الأصلية[23].

إذن "قد يطرأ على الكلمة من الأحكام اللغوية ما يستوجب انتقال النّبر من موضعه إلى مقطع قبله، أو آخر بعده من الكلمة. فاشتقاق كلمة من أخرى قد يؤدّي إلى تغيير موضع النّبر"[24]. كما يتمّ التفريق بين الأساليب المختلفة بواسطته، و"أقل وحدة يقع عليها النّبر المقطع (Syllable-stress)"[25]، وهذا المقطع هو الذي يتحدّد من خلاله المعنى المقصود.

6- أنواع النّبر:

نجد في اللغات المختلفة نبراً ثابت الموضع ونبراً حرًّا، وتعتبر اللّغة العربيّة لغة حرّة النّبر[26]. كما أنّ "النّبرات تقارن بعضها ببعض حين تقع في قولٍ ما يقال في وقتٍ ما ومناسبة ما. وهذا يعني أنّ النّبر نسبي وليس مطلقاً"[27]، فهو مرتبط بالسّياق. و"لا تختلف معاني الكلمات العربيّة ولا استعمالها باختلاف موضع النّبر منها"[28]، وإنّما يختلف المعنى العامّ الذي ترد فيه.

أ- درجات النبر بحسب القوّة:

لقد ميّز اللّغويون أربع درجات من النّبر بحسب القوّة، واكتفى بعضهم بثلاث درجات فقط، بل اكتفى بعضهم بدرجتين لأغراض التسهيل والتّبسيط. ومستويات النّبر الأربعة هي: -النّبرة الرّئيسيّة - النّبرة الثانويّة -النبرة الثالثيّة -النّبرة الضّعيفة[29].

وهناك من جعلها ثلاث درجات (بانتقاص النّبرة الثالثية) كما أنّ البعض جعلها درجتين: رئيسيّة وضعيفة. وكلّما زاد عدد الدّرجات زادت صعوبة ملاحظة الفرق بينها، لذلك "اكتفى بعضهم بدرجتين لأغراض التسهيل والتبسيط"[30].

وجعلها الدكتور محمد صالح الضالع في كتابه "الأسلوبية الصوتية" أربع درجات: "نبر الكلمة، والنّبر الأوّلي، والنّبر الثانوي، وغياب النّبر"[31]، وهناك من اللغويين من يصطلح على غياب النّبر بالنّبر المنخفض.

"وللنّبر تأثير على الصّائت الّذي يقع عليه، فإذا كان الصّائت منبوراً يميل إلى الطّول والعلو، وإذا كان ضعيف النّبر فإنّه يميل إلى القِصر والانخفاض"[32]، فالنّبر يؤثّر على الحرف وصفاته، كما يؤثر على المعنى ومقصديّة صاحبه.

وتُؤشَّر درجات النّبر من حيث التقسيم القائم على درجة قوّته استناداً إلى مبدأ الوضوح، والبروز، والارتكاز على المقاطع بثلاثة أنواع:

أ- النّبر الرّئيسي Primary stress

ب- النّبر الثّانوي Secondary stress

ت- النّبر الضّعيف Weak stress

وقد بُنيت هذه التّنوعات على أساس:

1) ازدياد شدّة الصوت

2) ارتفاع نغمته الإسماعيّة

3) امتداد مدّته الإنتاجيّة[33]

أي أنّ درجات النّبر تتحدّد بثلاثة أسس: شدّة الصّوت ووضوحه ومدّة التّصويت.

ب- أنواع النّبر بحسب الموضع:

أ- نبرة الكلمة: وهي النّبرة الرّئيسية التي تأخذها الكلمة إذا قيلت منفردة، أي مسبوقة بسكون متبوعة بسكون.

ب-نبرة الجملة: وهي النّبرة الرئيسية التي تأخذها الجملة، وفي هذه الحالة تتنازل الكلمات عن نبراتها الرّئيسيّة التي كانت تأخذها وهي منفردة، تتنازل عنها لصالح الجملة، فتأخذ الجملة كلها نبرة رئيسية واحدة إذا قيلت كوحدة صوتية واحدة. "وهو أن يعتمد المتكلّم إلى كلمة في جملة فيزيد من نبرها، ويميزها عن غيرها من كلمات الجُملة، رغبةً منه في تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص، وقد يختلف الغرض من الجُملة تبعاً لاختلاف الكلمة المختصّة بزيادة نبرها"[34]، والهدف من هذه العمليّة صياغة تعابير إنشائيّة مختلفة الدّلالة، حتّى ولو كانت متطابقة في التّركيب.

وفي الأساس "يقوم هذا النّوع من النّبر على الضّغط على كلمة معيّنة، في إحدى الجُمل المنطوقة، لتكون أوضح من غيرها من كلمات الجُملة، وذلك للاهتمام بهذه الكلمة، أو التّأكيد عليها، ونفي الشك عنها من المتكلم أو السامع"[35]، وذلك حسب مقصديّة المتكلّم.

نستنج إذن أنّ النّبر يكون في الكلمة ولكن تأثيره يقع على الجملة، "وزيادة نبر الكلمة في الجملة لا يعدو أن يكون زيادةً في المقطع الهامّ من هذه الكلمة"[36]، إذن فموضع النّبر أساساً هو المقطع. وسواءٌ كان تأثير النّبر أبرز في الكلمة أو الجملة، "فالنّبر بنوعيه ليس إلاّ شدّةً في الصّوت أو ارتفاعاً فيه. وتلك الشّدة أو الارتفاع يتوقف على نسبة ضغط الهواء المندفع من الرئتين، ولا علاقة له بدرجة الصوت أو نغمته الموسيقية"[37]، حيث أنّ التّعبير الإنشائي نفسه، يمكن أن يكون بدرجة صوت منخفضة أو مرتفعة، وتكون له نفس الدّلالة، فالأساس هو المقطع المنبور وليس درجة الصّوت.

ت–النّبرة التّقابليّة: وهي نبرة رئيسيّة قد تأخذها أيّة كلمة في الجملة من أجل هدف معيّن"[38]، وغالباً يكون الهدف تحقيق معنى معيّن أو توجيه الكلام نحو غايةٍ أسلوبية إبلاغية محدّدة، وهو ما يُدرس في قضيّة التنغيم.

- **أنواع النّبر عند تمّام حسّان:**

يعتبر تحديد الدكتور تمام حسان لأنواع النبر تحديداً جامعاً لتقسيمات علماء الأصوات والألسنيين المعاصرين، إذ يجمع فيه بين التغيرات الصوتية والوظيفة الدلالية التي تنجم عنها، والنّبر عنده إمّا صرفي (أوّلي أو ثانوي)، وإمّا دلالي، حين يقول: "ينقسم النّبر الصّرفي إلى قسمين بحسب قوّة النّطق ودرجة الدّفعة: أوّلي، وثانوي"[39]، وهو هنا يبيّن المعيار الذي يحدّد به نوعي النّبر الصّرفي، وهو قوّة النّطق ودرجة اندفاع الهواء من الرّئتين.

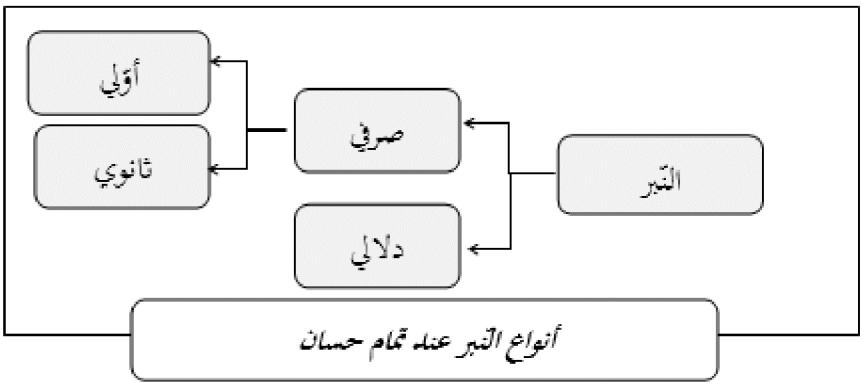

- **موقعيّة النّبر الأوّلي:**

لكلّ نوع من أنواع النّبر موقع يكثر وروده فيه:

أ- يقع النّبر على المقطع الأخير في الكلمة إذا كان من نوع (ص ع ع ص) أو (ص ع ص ص) أي من النّوع الطّويل، مثل: قال، استقال، قلّ، استقلّ، أو من النوع المتوسط في الكلمات أحادية المقطع كفعل الأمر: (قال).

ب- ويقع على ما قبل الآخر إذا كان متوسطاً والآخر متوسطاً، سواء كان هذا المتوسط من نوع (ص ع ص) أو (ص ع ع) مثل: علّم – سلّم – عبدك – يتوفاكم – قائل – جوارٍ، أو كان ما قبل الأخير من نوع (ص ع) القصير مبدوءة به الكلمة أو مسبوقاً بصدر إلحاقي نحو: كتب – حسب – حرم – محترم – انحبس.

ج- يقع النّبر على المقطع الذي يسبق ما قبل الآخر إذا كان الآخر يقع مع ما قبله في إحدى الصور الآتية:

- (ص ع+ص ع ص) نحو علّمك – حاسبك

- (ص ع+ص ع ع) نحو علموا – حاسبوا – ضربك.

ولا يقع النّبر على مقطع سابق لهذا الأخير[40].

– موقعية النّبر الثّانوي: "يوجد في الكلمات ذوات المقطعين فأكثر، والمقطع المنبور نبراً ثانوياً يمكن وجوده على مسافات محددة من النبر الأوّلي كما يأتي:

– يقع الثّانوي على المقطع الذي قبل المقطع المنبور نبراً أوّلياً إذا كان ذو النبر الثانوي طويلاً مثل: ضالّين – حاجّات – مدهامّات.

– ويقع على المقطع الذي بينه وبين المنبور نبراً أولياً مقطع آخر إذا كان المنبور الثانوي يكوّن مع الذي يفصل بينه وبين المنبور الأولي أحد الأنساق الآتية:

أ- مقطع متوسط + آخر متوسط (ص ع ص) أو (ص ع ع) مثل: علمناه- مستبقين- يستخفون –عاشرناهم.

ب- مقطع متوسط+ مقطع قصير مثل: مستقيم –مستعدة –صاحبوهم.

– ويقع على المقطع الثالث قبل المنبور نبراً أولياً إذا كانت الثلاثة السابقة لهذا المنبور الأولي تكوّن نسقاً في صورة (متوسط+ قصير +قصير أو متوسط) نحو: يستفيدون –ما عرفناهم – مُحتملوهم.

ولا يقع الضّغط الثانوي على المقطع الرابع السابق للمنبور الأولي في الكلمة.

- النّبر الصّرفي : يختصّ بالميزان الصّرفي[41]، وتكون مواقع النّبر محدّدة على حسب الأوزان الصّرفية، بحيث لا تتغيّر مواقعها، ونظراً لذلك فإنّ هذا النّوع ليست له وظيفة في اللّغة العربية"[42]، لأنّه ثابت لا يتغيّر ولا يسهم في تغيير الدّلالة، وهو يختلف بذلك عن نبر الجُمل، "فالكلمات تركيبات من أنساق صوتية لها نظامها النّبري الخاص المستقلّ عن نظام النّبر في الأنساق الكُبرى"[43] التي تكمن فيها وظيفة النّبر في تغيير الدّلالة.

وحتّى يصبح لظاهرة النّبر مجالها الخاصّ الذي تنماز به في الدّرس الصّوتي العربي ، يتمّ توضيح الفرق بين النّبر وبعض الظّواهر التي لطالما كان تابعاً لها في الدّراسة، ونمثّل لها بالتّنغيم : إذ أنّ "النّبر يختلف عن التّنغيم، فالنّبر خاصّ بالعناية بالمقطع المعيّن أو الكلمة المعيّنة في الجملة، والتّنغيم يشمل العبارة كاملةً، ومع ذلك تتداخل الظاهرتان، فالنّبر هو أساس التّنغيم، ووسيلته، فبالنّبر نصل إلى التّنغيم"[44].

ولابدّ أيضاً من توضيح أمر آخر خاصّ بنبر الكلمة ونبر الجملة، إذ أنه ومن خلال ما سبق نجد أنّ النّبر إنّما يقع على المقاطع، فكيف يكون منسوباً في التّراكيب إلى الجمل، ويكمن الجواب في أنّه: "عندما

تُستعمل الكلمات في جملة ما، فإنها تخسر نبراتها الرّئيسيّة، لأنّها تصبح مجرّد وحدات صغيرة في الوحدة الصوتية الكبيرة"[45]. ويصبح معناها تابعاً لمعنى التّركيب ككلّ، ويصبح تأثير النّبر على الجملة لا على المفردة.

- **نبر السياق (أو النبر الدلالي):**

ويمكن أن يأتي في شتّى مواضع الكلمات[46] فهو ليس محصوراً في موضع واحد، و"النّبر الّذي في السّياق إنّما يكون من وظيفة المعنى العام، أي أنّه نبرٌ دلاليّ"[47]، إذ يقتصر تأثيره على الصّوت فقط. ويكون إما تأكيدياً أو تقريرياً، ويمكن التفريق بينهما بأنّ:

أ- دفعة الهواء في النبر التأكيدي أقوى منها في التقريري.

ب- وأن الصوت أعلى في التأكيدي منه في التقريري.

أي مقطع في المجموعة الكلامية صالح لأن يقع عليه هذا النوع من النبر والمسافة بين أي حالتي نبر في المجموعة الكلامية، سواء كان كلاهما أوليا أو ثانويا أو مختلفاً، لا تتعدى أربعة مقاطع. هذه المسافة يتحكم فيها عامل الإيقاع في الكلام العادي"[48].

"وهناك علاقة تبادلية بين زمن المقطع مع النبر وثقل المقطع. وتؤدي هذه العلاقة في الكلام إلى إدراك الإيقاع، ويؤدي تنوع الاختلاف في تلك العلاقة إلى الاختلاف في إدراك الإيقاع"[49].

وبخصوص كون اللّغة العربية ثابتة النّبر، فذلك يتعلّق بتبعية النّبر للقواعد الصّرفية والنحوية والدّلالية، فهو ثابت في المواضع التي تتيحها له هذه القواعد، وليس الثّبات هنا بمعنى الثّبات في موضع واحد بل الثّبات في مجالات محدّد، ويتّضح الأمر بمثال النّبرة التقابلية: إذ أنّه "إذا أراد المتكلم نفي معنى ما أو توكيد معنى ما فإنّه يستطيع أن يُعطي النّبرة الرئيسيّة لأيّة كلمة يُريدها، وتُدعى هذه النبرة النّبرة التقابلية أو النبرة التوكيدية"[50]. فالنّبر هنا يقع على الكلمة المراد توكيدها، وفي نفس الوقت عليه ألاّ يخرج عن مجال التّوكيد وقواعده، وإلاّ انتقل المعنى من التّوكيد إلى معاني إنشائيّة أخرى.

ونظراً لتعدّد اللّهجات العربية، واعتماد عديد الدّراسات الصّوتية عليها، ليس هنالك أفضل من الاعتماد على "نطق المجيدين للقراءات القرآنية بما يمكّن من معرفة مواقع النّبر والتّنغيم في القرآن الكريم، ومنه نهتدي إلى مواقع النّبر وآثاره في العربيّة الفصحى"[51]، وبذلك تكون هناك قواعد ومعايير أكثر دقّة، تتيح انتقال الدّرس الصّوتي حول النّبر من التّقعيد والتّنظير إلى الدّرس التّطبيقي المخبري، كما هو عليه الحال في الدّراسات اللّسانية المعاصرة.

- **نتائج البحث:**

- نخلص من خلال الدّراسة وبعد معالجة الظاهرة من شتّى الجوانب والتفصيلات والمنطلقات النظرية والتطبيقية إلى أنّ دراسة النّبر كظاهرة صوتيّة لسانية مؤثّرة في التراكيب والمعاني، يمكن

معالجتها –بالإضافة إلى ما سبق- وفق أطر أوسع بالاستفادة من الدّرس الصّوتي للنّصّ القرآني والقراءات والتوجيه اللغوي لها، وكذا الدراسات العروضية لما يتميّز به هذا المجال من الدّقّة مع إمكانية التطبيق المباشر مع وجود ضوابط محدّدة تحكم النّصين القرآني والشعري ما يخدم العربية الفصحى والدّرس اللغوي في آن واحد، تركيباً ومعنى، وهي الميزات والمنطلقات التأصيلية التي يحتاجها الدارس لقضايا اللغة العربية حتى يستطيع انطلاقاً من الأصول التأسيس لبحوثه وفق المناهج اللسانية المعاصرة التي تجمع بين التّنظير والتّطبيق.

- ولتجنّب الوقوع مجدّدا في الخلاف حول قواعد النّبر يكمن الحلّ في ربط التنظير بالتطبيق، وربط البنية بالمعنى، فالتركيز على التأثير الدلالي للتغيرات الصوتية الناتجة عن النبر يجنّبنا الوقوع في الخلاف النّظري الظاهر في الدراسات السابقة للظاهرة حتى المعاصرة منها.

- كما أنّه يظهر جلياً كنتيجة للبحث أنّ النبر ليس ظاهرة صوتية جافّة تحكمها قواعد بنائيّة فحسب، وإنّما يمكن القول أنّه ظاهرة لسانية بامتياز لما له من تأثير في المستويات كلّها الصوّتي والصرفي والنحوي والدّلالي، وحتّى البلاغي، إذ تتحقّق من خلال النبر عديد المعاني والدّلالات البليغة، ما يخدم الهدف الأسمى من اللّغة وهو التّواصل الفعّال.

الهوامش:

[1]- علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، أزمنة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1998م، ص113.

[2]- الأسلوبية الصوتية، محمد صالح الضالع، دار غريب، القاهرة، مصر، 2002م، ص139.

[3]- لسان العرب، ابن منظور، تح عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت، مادّة نبر، ص4323.

[4]- الصوتيات اللّغوية-دراسة تطبيقية على أصوات اللّغة العربية-، عبد الغفار حامد هلال، دار الكتاب الحديث، الجزائر، ط1، 1430هـ/2009م، ص281.

[5]- الأصوات اللّغوية، محمد علي الخولي، دار الفلاح، عمّان، الأردن، 1990م، ص158.

[6]- علم الصّرف الصّوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص113.

[7]- علم وظائف الأصوات اللّغوية الفونولوجيا، عصام نور الدّين، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص110.

[8]- مناهج البحث في اللّغة، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1407هـ/1986م، ص194.

[9]- الأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس، دار النهضة العربية، ط3، القاهرة، مصر، 1961م، ص118.

[10]- المرجع نفسه، ص119.

[11]- المرجع نفسه، ص125.

[12]- الصوتيات اللّغوية، عبد الغفار حامد هلال، ص282.

[13]- الأصوات اللّغوية، محمد علي الخولي، ص161/160.

[14]- الأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس، ص185،

[15]- المرجع نفسه، ص286.

[16]- المرجع نفسه، ص286.

[17]- علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص121/120.

[18] - الأصوات اللّغوية، محمد علي الخولي، ص165/166.

[19] - الصوتيات اللّغوية، عبد الغفار حامد هلال، ص288.

[20] - المختصر في أصوات اللّغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط5، 1429هـ/2008م، ص174.

[21] - الأصوات اللّغوية، محمد علي الخولي، ص161.

[22] - الأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس، ص125.

[23] - نفسه، ص125.

[24] - نفسه، ص124.

[25] - الأسلوبية الصوتية، محمد صالح الضالع، ص139

[26] - المرجع نفسه، ص159.

[27] - المرجع نفسه، ص160.

[28] - الأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس، ص122.

[29] - الأصوات اللّغوية، محمد علي الخولي، ص163.

[30] - المرجع نفسه، ص163.

[31] - الأسلوبية الصوتية، محمد صالح الضالع، ص139.

[32] - الأصوات اللّغوية، محمد علي الخولي، ص158.

[33] - علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص118/119.

[34] - المرجع نفسه، ص122.

[35] - الصوتيات اللّغوية، عبد الغفار حامد هلال، ص309.

[36] - المرجع نفسه، ص123.

[37] - المرجع نفسه، ص123.

[38] - الأصوات اللّغوية، محمد علي الخولي، ص164.

[39] - مناهج البحث في اللّغة، تمّام حسّان، ص195.

[40] - المرجع نفسه، ص195/196.

[41] - الدّلالة الصّوتية في اللغة العربية، عبد القادر سليم الفاخري، المكتب العربي الحديث، مصر، ط1، 2007م.

[42] - المرجع نفسه، ص194.

[43] - مناهج البحث في اللّغة، تمام حسان، ص194.

[44] - الصوتيات اللّغوية، عبد الغفار حامد هلال، ص284.

[45] - الأصوات اللّغوية، محمد علي الخولي، ص166.

[46] - المرجع نفسه، ص194/195.

[47] - مناهج البحث في اللّغة، تمام حسان، ص195.

[48] - المرجع نفسه، ص195/196.

[49] - الأسلوبية الصوتية، محمد صالح الضالع، ص140.

[50] - المرجع نفسه، ص167.

[51] - الصوتيات اللّغوية، عبد الغفار حامد هلال، ص290.